﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

[النّور: 20]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد الحُكم بالجهلِ يأتي التَّذكيرُ بالمنَّة بتركِ المعاجَلَةِ في العقابِ

لمّا ختم بالحكُم عليهم بالجهلِ، وكان التَّقدير - كما أرشد إليه ما يأتي من العطفِ على غير معطوفٍ - (فلولا فضلُ اللّه عليكم ورحمتُهُ بكم؛ لعجَّلَ هلاكَ المُحبّين) لشيوع ذلك بعذاب الدُّنيا ليكون موصولًا بعذاب الآخرةِ؛ عطف عليه قولَهُ مُكرِّرًا التَّذكيرَ بالمنَّة بترك المعاجلة حاذفًا الجواب، مُنبِّهًا بالتَّكرير والحذف على قوَّة المبالغة وشدَّة التَّهويل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾، أي: الحائزُ جميعَ الجلال والإكرام[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَءُوفٌ﴾: (رأف) أصلٌ واحِدٌ يدُلُّ على رِقَّةٍ ورَحْمَةٍ، وهي الرَّأْفَةُ، يُقالُ: رَؤُفَ يَرْؤُفُ رَأْفَةً ورَآفَةً، على (فَعْلَةٍ) و(فَعالَةٍ)، قالَ اللّه ﷻ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النّور: 2][2]، والرَّؤُوفُ: الرَّحيمُ العاطِفُ برَأفَتِهِ على عِبادِهِ، وقالَ بَعْضُهُم: الرَّأفَةُ أبلَغُ الرَّحْمَةِ وأرَقُّها، ويُقالُ: إنَّ الرَّأفَةَ أخَصُّ، والرَّحْمَةَ أعَمُّ، وقد تَكونُ الرَّحْمَةُ في الكَراهَةِ لِلْمَصْلَحَةِ، ولا تَكادُ الرَّأفَةُ تَكونُ في الكَراهَةِ، فهَذا مَوْضِعُ الفَرْقِ بَيْنَهُما[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لولا فضلُ اللهِ تعالى لعجَّلَ للأفّاكين عذابَهم لقاءَ ما اقترفوه

ولولا تفضُّلُ اللّهِ ورحمته عليكم - أيُّها الآفكون - وأنَّه تعالى دائمُ الرَّأفةِ والرَّحمةِ لعباده؛ لمسَّكم فيما أذعتموهُ مِنَ الإفك عذابٌ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 13/ 234.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رأف).
(3) الخطّابي، شأن الدعاء: 1/ 91.

عظيمٌ، لا يُقادرُ قَدرُهُ، ولكنَّهُ تعالى أمهلكم بموجب رأفَتِهِ ورحمته ليميِّزَ الخبيثَ من الطَّيِّبِ، ثمَّ أنزلَ براءتَها ممّا نُسب إليها، فتاب مَنِ استيقظَ ضميرُهُ، وعرفَ حقَّ اللهِ ورسولِهِ، فتابَ اللّه عليه، وأقام الحدَّ على مَن ثبت عليه التَّشهير بذلك، فطَهر منهم مَن كان من المؤمنين، وبَقي في رجسِهِ وسوءِ عاقبته مَنْ كان من المنافقين[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾:

قد تكونَ عاطفةً أو استئنافيَّةً

هذه الواوُ يمكنُ أن تكونَ عاطفةً، والآيةُ عُطفت على سابقتِها لاشتراكها معها في وصفِ اللّه تعالى، فهو يعلمُ كلَّ شيءٍ، وهو صاحبُ الفضلِ علينا والرَّحمة، ويمكن أن تكونَ استئنافيَّةً شرعت في ذِكْر توجيهٍ آخرَ من التَّوجيهاتِ التي ذكرتها آياتُ الإفكِ.

نكتةُ تَكرارِ (لولا) في الآيات:

في التَّنبيهِ الإلهيِّ رَحْمَةٌ بآحادِ الأمَّة وجَماعَتِها

يقول ابن عاشور: "هَذِهِ ثالثُ مَرَّةٍ كَرَّرَ فيها ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾، وحَذَفَ في الأَوَّلِ والثّالِثِ جَوابَ (لَوْلا)؛ لِتَذْهَبَ النَّفْسُ كُلَّ مَذْهَبٍ مُمكِنٍ في تَقْديرِهِ بِحَسَبَ المَقام، وقد ذَكَرَ في المَرَّةِ الأولَى وصْفَ اللّه بِأَنَّهُ ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [النور: 10] لِلْمُناسَبَةِ المُتَقَدِّمَة، وذَكَرَ هُنا بِأَنَّهُ ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لِأَنَّ هَذا التَّنْبيهَ الَّذي تَضَمَّنَهُ التَّذْييلُ فيه انْتِشالٌ لِلْأُمَّةِ مِن اضْطِرابٍ عَظيم في أَخْلاقِها وآدابِها وانْفِصامِ عُرَى وحْدَتِها، فأَنْقَذَها مِنْ ذَلِكَ رَأْفَةً ورَحْمَةً لِآحادِها وجَماعَتِها وحِفْظًا لِأَواصِرِها"[2].

معنى ﴿وَلَوْلَا﴾ في أوَّلِ الآية:

اللهُ تعالى هو العاصمُ لعباده من المعاصي

(لولا) حرفُ امتناعٍ لوجود - كما هو معلومٌ - والممتنع مَعَ (لَوْلا) هوَ الثّاني قطعًا[3]، وفي هذا تذكير لهم مرَّةً بعد مرَّة بعظم فضل

(1) مجموعة من المؤلّفين، التّفسير الوسيط: 6/ 1382.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 185 - 186.
(3) ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 346.

اللّه عليهم ورحمته بعد عظيم فعلهم، وأنَّه تعالى لو عاملهم بما يستحقُّون لعذَّبهم عذابًا شديدا في الدُّنيا والآخرة، ولكنَّ رحمة اللّه الواسعة قد سبقت عذابه.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالجملة الشَّرطيَّةِ:

امتناعُ عذابِ المستحقّين هو من تفضُّل الله

التَّعبيرُ بالجملة الشَّرطيَّة أقوى في ربْطِ جواب الشَّرط بفعله، والنَّتيجة بالسَّبب، وهنا ربطتِ الآية بين فضل اللّه تعالى عليهم، وبين مسِّ العذاب لهم، فامتناعُ العذاب عنهم إنَّما هو لوجود فضل اللّه عليهم، فيعظمُ بذلك الترغيبُ والترهيبُ، "وفي المَعْنَى وجْهانِ: **الأَوَّلُ**: (ولَوْلا أَنّي قَضَيْتُ أَنْ أَتَفَضَّلَ عَلَيْكُم في الدُّنْيا بِضُروبِ النِّعَمِ الَّتي مِنْ جُملَتِها الإمهالُ لِلتَّوْبَةِ، وأَنْ أَتَرَحَّمَ عَلَيْكُم في الآخِرَةِ بِالعَفْوِ والمَغْفِرَةِ؛ لَعاجَلْتُكُم بِالعِقابِ على ما خُضْتُم فيه مِنْ حَديثِ الإفْكِ)، **والثّاني**: (ولَوْلا فضْلُ اللّه عَلَيْكُم ورَحْمَتُهُ؛ لَمَسَّكُم فيما أَفَضْتُم فيه عَذابٌ عَظيمٌ في الدُّنيا والآخرة معًا)، فيكون فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، والخطابُ لِلْقَذَفَةِ"[1].

نكتةُ إضافةِ الفَضْلِ والرَّحمةِ للفظِ الجلالةِ:

لا غنى للإنسان عن رحمة الله تعالى وفضله

في إضافةِ الفضل إلى لفظِ الجلالة، وإضافةِ الرَّحمة إلى الضَّمير العائدِ إلى لفظ الجلالةِ رفْعٌ لشأن هذا الفضل والرَّحمةِ، وأنَّهما ليسا كأيِّ فضلٍ ورحمةٍ، فاسمُ الجلالة أكسبَهما معنى الكمالِ؛ إبلاغًا في امتنانه ﷻ عليهم.

معنى الواوِ في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

الواوُ هنا عاطفةٌ، عطفت صفتَي الرَّأفةِ والرَّحمةِ على الفضل والرَّحمة بنا، فما بعد الواوِ معطوفٌ على: ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾.

غرضُ تتابعِ المؤكِّدات في فاصلةِ الآية:

إقرارُ آثارِ الصِّفات الجليلةِ في نفوس المؤمنين

في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أُكِّدت هذه الصِّفات الإلهيَّةُ الجليلة في فاصلة الآية الكريمة بـ(أنَّ) والجملةِ الاسميَّة؛

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 342.

وذلك حتَّى تستقرَّ آثارُها في نفوس المؤمنين، فإنزالُ غير المُنكِر منزلةَ المُنكِر؛ لما بدر منهم من أفعالٍ تتنافى مع حقيقة هذا الإيمانِ، فخرج التَّوكيد عن الظّاهر، لكنَّه لم يخرج عن مقتضى الحال.

نكتةُ تذييلِ الآية بـ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

التَّمكينُ والائتلافُ في الفاصلةِ تأكيدٌ على مناسبتها لآيتها

في خَتْمِ الآية بهذَيْن الاسمَيْن الجليلَيْن النّازعَيْن إلى رحمة اللّه بعبادهِ وتيسيرهِ عليهم بخَلْقِ ما ينفعهم، ويُساعدهم على بلوغ مقاصدِهم وقضاء حوائجهم، فيه ما لا يخفى من التَّناسُبِ المُحتفي بالإنعام والامتنان على العباد؛ فضلًا من اللّه ونعمةً منه ورحمةً، والعادةُ أن يُذكرَ اسمُ اللّه الرؤوف سابقًا للرَّحيم، فعلى هذا يكون الجمعُ بين اللَّفظَيْن في قوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ تأكيدًا، وحسَّن ذلك اختلافُ اللَّفظين، وقيل: الرَّأفةُ أرقُّ من الرَّحمةِ، فهي أخصُّ، وعلى هذا فلا تَكرارَ ولا تأكيد[1].

نكتةُ الترتيبِ ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

اجتماعُ جمالِ النَّظم وكمال المعنى

قيل: إنَّ (الرؤوف) أبلغُ من (الرحيم)، كما أنَّ من دواعي التَّقديم مراعاةَ الفاصلة[2]، فيكون الختمُ بالصِّفتَيْن الجليلتَيْن وبهذا الترتيبِ، اجتمع فيه جمالُ النَّظم مع كمال المعنى، ويمكن أن يكون ترتيبُهما ناظرًا إلى كون (الرؤوف)، كأنَّها أصلُ (الرحيم)، وكأنَّ الثّانية مِن تمامها، قال البقاعيُّ: "﴿رَءُوفٌ﴾ بكم في نصْبِ ما يُزيل جهلَكم بما يحفظُ مِن سرائركم بإرسال الرُّسل وإنزالِ الكتب، ونصبِ الحدود الزاجرة عن الجهل الحاملةِ على التَّقوى التي هي ثمرةُ العلم، فإنَّ الرَّأفةَ تُقيم المرؤوف به؛ لأنَّها ألطفُ الرَّحمةِ، وأبلغُها على أقوم سنن... ﴿رَّحِيمٌ﴾ بما يُثبت لكم مِن الدرجات على ما مَنَحَكُم به مِن ثمرات ذلك الحفظ مِن الأعمال المُرْضية"[3].

(1) السَّمين عُمدة الحُفّاظ: (رأف).
(2) الشِّهاب، حاشية على البيضاويّ: 6/ 311.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/ 246.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»